وتسيل من الجسم مسايل العرق. افليس الى هذا العامل تُنسب في بلادنا وفي القطر المصري خصوصاً كثرة وفيات الاطفال

نعم انَّ لموت الاحداث اسباباً أُخر لا يمكننا الآن ايضاحها. وقد اكتفينا بالقِشر القليل طالبين في الختام منهُ تعالى ان يرشد اهل الوطن الى اتخاذ الوسائل الصحيَّة التي عليها تتوقَّف سلامة البنية ونقي الاسقام. نخصُّ منها بالذكر النظافة والعيشة المعتدلة المنظمة لاسيَّما في الصغر ووقت الشباب. لئلَّا يأكل الشابُّ الحصرم فيضرس بالشيخوخة بل يضرس بسببهِ اولادهُ كما نرى في داء الزهري وفي السكر. وربَّما امتلأ الاناء قبل الشيخوخة فيطفح ويفيض بغتةً وما كلّ مرَّة تسلم الجرَّة

نظرٌ

في اخصّ العاديَّات المكتشفة آخرًا في سوريَّة

للاب لويس جلابرت اليسوعي

لا يزال قرَّاء المشرق يلحُّون علينا بالسؤال ان نفيدهم عمَّا يستخرجهُ اصحاب العاديَّات من الدفائن المطمورة في بلادهم. ولا غرو فان هذه الكنوز الاثريَّة اصدق شاهد على احوال الوطن السالفة واوثق مؤرخ سطَّر لنا اخبار الغابرين بل خلَّد ذكرها بجزها في الصمّ الصلاب بحيث قويت على قوارع الدهر وقامت بعد قرون متعدّدة تخبرنا بلسان حالها عن بعض مآثر الاقدمين

هذا ولا ينتظرنَّ القارئ منَّا ان نتَّسع في هذه الاكتشافات ونطيل فيها الشرح فانَّ ذلك يقتضي مجلَّدات ضخمة ولكن نلخص ممَّا ورد في المجلَّات الاثريَّة الكبرى ما نراهُ حقيقاً بالذكر مفيداً للمطالعة علَّهُ يثير الرغبة في قلوب البعض بان يدرسوا هذه الآثار درساً نعمًا ويزيدوا حجرهم في بناء صرح العلوم الشاهق (١

---

١) وكنَّا نودّ ان ندوّن في هذه المقالة شيئاً من اكتشافات بلاد فلسطين لولا انَّ ذلك يؤدي بنا الى الطول. فنحيل القرَّاء الى المجلَّات الفلسطينية الخاصَّة المكتوبة بالفرنسيَّة والالمانيَّة والانكليزيَّة. وفي المجلَّة الكتابية (la Revue Biblique) خلاصة هذه الاكتشافات تصدر في كلّ ثلاثة اشهر

١ عاديّات فينيقية

نبتدئ اولًا بذكر ما وقف عليهِ العلماء من آثار الفينيقيين لما في اكتشافها من الخطر وعظم الشأن لانَّ تاريخ سوريّة في الطور الفينيقي كثير الشبهات قليل الحقائق الراهنة. والعلماء يتلقَّون باصوات الفرح كلّ اثرٍ وان صغيرًا يسمح لهم بان يسبروا غور هـذه الامة العظمى

واعلم انَّنا مع مراجعة المجلَّات الخصوصيَّة قد اتخذنا لنا اماماً في الآثار الفينيقيَّة الاثريّ الشهير المسيو كلرمون غانو (M^r Clermont-Ganneau) وقد حاز في اكتشاف هذه الآثار قصبة السبق فتراهُ مع وصفهِ بقيَّة الحفريَّات الشرقية وكتاباتهِ عنها لا يزال يفرد الفصول المطوَّلة للمآثر الفينيقيَّة وفكّ اسرارها وبيان فوائدها

١ (انصاب امّ العواميد) من اعظم الاكتشافات الفينيقيَّة التي اكسبت المسيو رنان شهرتهُ آثار امّ العواميد (١ او امّ العمَد وهي قرية صغرى قريبة من البحر جنوبيّ صور عند مصبّ وادي حمول. وقد نالت هذه العـاديَّات شهرةً جديدة باكتشافات مستحدثة متوالية جرت آخرًا. واهمّ هذه الحفريَّات نصبٌ جميل من القرن الثـاني قبل المسيح عليهِ كتابة ونقوش. امَّا الكتابة فلا تزيدنا علماً كبيرًا على ما كنَّا نعرفهُ سابقًا من احوال فينيقية على عهـد البطالسة واماَّ النقوش فهي غاية في الغرابة كما سترى

وقد جاء في الكتابة الفينيقية ما معرَّبهُ: «هذا النصب ذكرٌ لبَعَليتن بن بعليتن الربّ» فلا يستفاد من هذا الكلام الوجيز شيء يُذكر لانَّ اسم «بعليتن» علم معروف. والربّ بالآرامية العظيم والسيد. ولعلَّ هذه اللفظة تدلُّ على رتبةٍ بعينهـا لم نعرف حقيقتها حتى يومنا

امَّا النقوش التي ذكرنا خطر شأنها فانهـا تمثِّل قرص الشمس مجنَّحةً على جانبيها علامتان رمزيّتان على شكل الحيَّة تُدعيان اوريوس (uræus) ومن تحت هذه النقوش صورة ناتئة لرجلٍ غير ملتحٍ يُرى راسهُ من الجانب الايمن وثلاثة ارباع شلوهِ المكسور وهو لابس رداء طويلًا واسع الطيَّات مشدودًا بمنطقةٍ خفيَّة ونازلًا الى

١) راجع كتابهُ بعثة فينيقية (ص ٦٩٤–٧٥٠ مع التصاوير ع ٥٠–٥٨)

القسم الادنى من جسمـه . ويدهُ اليمنى مبسوطة الى الامام على علوّ ذقنهِ كما كان القدماء يصوّرون السُجّد . امّا الشمال فبها يمسك صورة ابي الهول المصريّة وابو الهول هذا متوّج باكليلهِ المعروفين وبين مخالبهِ مجمرة يُحرق فيها الطيب (١

وللرجل الذي وصفناهُ قلنسوة مستديرة متوسّطة الكبر مائلة الى الخلف على شكل التماثيل التي تُرى في مدافن تدمر . ومن اسفل القلنسوة من وراء الاذن تخرج خصل قصيرة من شعرهِ تغطّي عنقهُ الثخين البارز من اعلى ردائهِ المفتوح . ومن انعم النظر في وجه الشخص وجدهُ محلوق العارضـين والشوارب وتحقق انهُ رجل مُسنّ قويّ الالواح شاحب اللون ذو هيئة حيّة مؤثرة يكاد ينطق بفيهِ

وهذه النقوش العجيبة التي تشبه بدقّتها الصور المصريّة المكتشفة حديثاً في نواويس الفيوم فوق رؤوس المومیا تمثل لنا صورة احد الفينيقيين في ذلك العهد العهيد وتفيدنا عن سحنة اهل ذلك العصر ولبسهم مع كثير من احوالهم

وما مرَّ على هذا الاكتشاف زمن قليل حتى شفعهُ اكتشاف آخر لانصاب جديدة وجدت في امّ العواميد افاض في ذكرها المسيو هوزي (M^r Heuzey) في الجلسـة التي عقدتها في ١١ نيسان سنة ١٩٠٢ اكدامية الكتابات والفنون . وبين هذه الانصاب والنصب الموصوف آنفاً تشابهٌ ظاهر وان كانت دونهُ في دقّـة الصناعة (٢

والاثر الاوّل يمثل تمثيلًا غير متقنٍ شخصين احدهما رجلٌ لابس لبس الفينيقيين والآخر امرأة مقنّعة على هيئة نساء اليونان

وقد وصف المسيو هوزي تمثالًا آخر اكتُشف في المكان نفسهِ فيهِ صورة رجلٍ فينيقيّ يُرى اعلى جسمهِ الى منطقتهِ وهو في لبسهِ وهيئتهِ وحركاتهِ كمثل الشخص المصوَّر في نصب المسيو كلرمون غانو

وذكر المومیا اليهِ دميةً ثالثة وهي امرأة منتصبة على هيئة السجود تشملها ملاءة تنحدر من اعلى راسها الى اكتافها بزيّ حسن . وفي القسم الاسفـل من هذا الاثر

١) راجع المجلّة الاثريّة (RA., 1902, I, 200-207 et Pl.XXXI) ثم مجموع الآثار الشرقية (RAO, V p. 1-8, Pl. I et II; 87-86 Pl. V)

٢) راجع المجلّتين السابقتين (ص ٢٠٣ و ٥ : ٨٦)

امرأتان عليهما مئزران الى ما فوق صدرهما كعادة المصريّات قديماً تراهما جاثيتين على الرُّكَب الواحدة بازاء الاخرى وبيد كل منهما اناء بلا عُرَى تصبّان منهُ الماء على نباتٍ مقدّس غُرس في وسطهما

وقد عُني المسيو هوزي بشرح اسرار هذه الانصاب الثلاثة ودقّق البحث عن كلّ قسمٍ منها وقابلها مع الآثار المعروفة قبلهُ ليستخلص منها معانيها الخفيّة ومع افراغهِ مجهودهُ في ذلك لم يتمكّن من حلّ رموزها. لكنّهُ بيّن انّ في صناعة هذه التماثيل مسحةً من فنون المصريّين والكلدان واشاراتٍ الى عقائد تينك الامتين فضلًا عمّا يلوح فيها من الطرائق التصويريّة الجارية عند اليونان واهل آسية

ومع هذه الانصاب التي وصفها المسيو هوزي انصاب اخرى قد ذهبت رسومها وامّحت تصاويرها وُجدت في المحلّ ذاتهِ وهي اليوم في متحف اللوفر. وكلُّ هذه الانصاب غفلٌ لا كتابة عليها وانّما وُجد معها حجارة اخرى فيها اربع كتابات فينيقيّة جدّ المسيو هوزي في تفسيرها مع احد رصفائهِ. ثم عاد المسيو كلرمون غانو واعمل فكرهُ النقّاد في هذه الآثار فحسّن واكمل واصلح الخلل لاسيّما في احدى الكتابات التي قرأ مضمونها على هذه الصورة: « لبعليتن ابن عبد هور ملك عشترت (١ »

ولو اردنا ان نلخص كلّ ما كُتب عن هذه الآثار لطال بنا الكلام فاكتفينا بالاشارة ليعرف القرّاء كم يسعى الاثريّون الفرنسيّون في تعريف الآثار الفينيقيّة

٢ (هيكل اشمون في صيداء) بلغ مسامع صاحب السعادة حمدي بك متولي نظارة المتحف العثماني في الاستانة العليّة انّ بعض الاهلين اجروا في جوار صيداء حفرًا خفيًا على غير نظام استخرجوا بهِ بعض الكتابات الفينيقيّة. فكتب للحال الى جناب مكريدي بك وهو اذ ذاك في بعلبك ينظر باسم الحكومة السنيّة اعمال البعثة الالمانية ووكل اليهِ بان يبحث عن اصحاب هذه الحفريّات غير القانونيّة واذا استصوب الامر بان يجري بنفسهِ في صيداء حفرًا منتظمًا لعلّهُ يجد آثارًا أُخرى يُرسلها الى المتحف العثمانيّ العامر

---

١) راجع المجلّة الاثريّة (R A, 1902, Mars-Avril, p. 200 – 206) ومجموع المسيو كلرمون غانو (R A O, V. 85 et 148-156)

فاسرع مكريدي بك الى صيداء وبعد البحث اللازم تحقّق صحة الخبر وباشر الحفر على مقتضى الاصول الهندسيّة لئلّا تتلف الآثار بسوء العمل وقد اسعدهُ الحظّ على وجود هيكل جميل يُعرف بهيكل الاله اشمون ولمّا انتهى من الحفر ارسل تقريرًا بيّن فيهِ ماجريات العمل ونتائجهُ ومع التقرير رسوم وتصاوير للعالمين الالمانيين شولتس (Schultz) وكرنكر (Krencker). ونحن نختصر هنا هذا التقرير مع ما كتبهُ عن هذه الحفريّات حضرة العلاّمة الاب لكرنج الدومنيكي في المجلّة الكتابيّة والمسيو كلرمون غانو في مجموعهِ الشهير للآثار الشرقيّة والمسيو فيليب برجه (Ph. Berger) في مقالة نشرها في مجموع الكتابات والفنون (١

وموقع هذا الهيكل في البستان المعروف اليوم ببستان الشيخ على منعطف ربوةٍ فوق وادي نهر الاولى قريباً من مصبّ هذا النهر على مسافة نحو كيلومترين و ٣٠٠ متر شمالي صيداء. فكان اذن الهيكل المذكور خارجاً عن المدينة مهما بُولغ القول في اتساعها القديم. وهو يتركّب من سور مربّع مستطيل بُني بنحيت الحجارة وحجارتهُ ضخمة محكمة الوضع. وكان السور المذكور موازيًا لاربع نواحي المعمور طولهُ من الشرق الى الغرب نحو ٦٠ مترًا وعرضهُ من الشمال الى الجنوب نحو ٤٤ مترًا. وهذا السور كان يدعى الحرَم كما يُرى في اكثر معابد الساميين ومثلهُ في القدس الشريف وفي الشيخ بركات وفي حصن سليمان. وفي وسط السور كان المقدس او مقام الالهة وحولهُ ساحة متسعة. وهذا المقدس لم تُكتشف حتى الآن آثارهُ. لانّ الحفر لم يتمّ بعد ولكن لا شكّ في وجودهِ

ومما يزيد هذا الاكتشاف شأنًا كتابات فينيقيّة تجدينا عدّة فوائد لتاريخ فينيقية ومن غريب الامور انّ هذه الكتابات لم تكن على وجه الحجارة الظاهر بل على وجهها

---

١) راجع Macridy Bey: *Le temple d'Echmoun à Sidon* (RB., 1902, p. 488-515 et 1903, p. 69-77 = R. P. Lagrange : *Notes sur les inscriptions trouvées par Macridy Bey* (Ib. 1902, 515-527) = Clermont-Ganneau: RAO., V. p. 217-276 = Ph. Berger : *Mémoire sur les inscriptions du temple d'Esmoun à Sidon*, Extrait.

الخفي الواقع فوق الحجارة السفلى بحيث لم يمكن الاطّلاع عليها الّا بنقض الحجارة والفصل بينها. وقد استدلّوا بذلك على انّ الكتابات التي شاعت قبل الحفر القانونيّ والتي كان العلماء في ريب عن صحّتها انّما هي صادقة. وهذه الكتابات كلّها عبارة عن نُسخ متعدّدة لنصّ واحد الّا انّ بعضها اكمل من البعض على قدر الحجارة. وعددها ست كتابات او سبع

وقبل ان نذكر مضمون هذه الكتابة لا بُدَّ ان ننبه القرّاء على مناظرة جرت بين العلماء فانّ بعضهم وفي مقدّمتهم المسيو فيليب برجه يزعم ان الهيكل وابنيتهُ يرتقي الى عهد الكتابة وتاريخها. ويزعم غيرهُ وهو الرأي المرجّح انّ هذه الكتابات اقدم عهدًا من الهيكل وانّما كانت في هيكل سابق ظاهرةً في واجهتهِ فلمّا خرب الهيكل الاوّل اُتّخذت موادّه لبناء هيكل جديد فنُضِّدت الحجارة على هذه الصور غير القياسيّة

وان سألت الآن عن مضمون الكتابة قلنا انّ فطاحل العلماء تسابقوا في فكّ مشكلاتها نخصُّ منهم بالذكر حضرة الاب لكرنج والمسيو كلرمون غانو والمسيو فيليب برجه فسّروها كلٌّ واحد وحدهُ دون ان يطّلع على تفسير الآخرين. الّا انّ مقالة كلرمون غانو ظهرت بعد مقالة رصيفيهِ فنأخذ تفسيرهُ ثم نعود الى الاختلاف الذي بين شرحهِ وشرح العالمَيْن الآخرين. قال انّ في هذه الكتابة ثلاثة اقسام نشير اليها بثلاثة حروف الابجديّة (ا ب ج):

ا
الملك بُدْعشترت ملك الصيدونيين
حفيد الملك اشمنعزر ملك الصيدونيين

ب
بصيدون البحر
بشمم رمم
بارض رسفم
بصيدون مشل
التي بناها (؟)
وبصيدون البر

ج
بنى هذا الهيكل (كلّهُ ؟)
لمعبودهِ اشمون سار قدش

ففي هذه الاقسام الثلاثة (ا ب ج) قد اتفق العلماء على شرح القسمين الاوّل والآخر (ا ج) الّا القليل وفيهما معنًى تامّ . اما القسم الثاني (ب) فالآراء فيهِ متضاربة . فان المسيو برجه شرحهُ هكذا : « بصيدون البحريّة خاصّة السماوات العليا ارض الرسفيم صيدون المالكة » وقد فسّرهُ حضرة الاب لكرنج بنوع آخر فقال : « بصيدون في يوم شمم رمم اب صيد الذي هو صيدون كما بناها صيدون الملك » فترى ما بين الروايات الثلاث من الاختلافات الذي لا نتعرّض للحكم بينها . وقد اتى آخرًا المسيو هالڤي (M^r Halévy) بشرح رابع في المجلّة الساميّة (١٩٠٢ ص ٣٤٧ — ٣٦٧) فزاد الامر التباساً

ومهما كان من امر هذا القسم الثاني فانَّ ما تقرَّر وثبت من قسميها الآخرين غاية في الاهميّة لتعريف سلسلة ملوك صيداء الفينيقيين . وقد كان سعادة حمدي بك نهج الطريق لبيان هذه السلسلة باكتشاف تاووس احد ملوك صيداء وكانت عليهِ هذه الكتابة التي حلّها المسيو فيليب برجه (١ : « انا تبنيت كاهن عشترت وملك الصيدونيين ابن الملك اشمنعزر كاهن عشترت وملك الصيدونيين المضّجع في هذا التاووس . . . » فالكتابة الجديدة التي نحن في صددها توّيد صحّة كتابة تاووس الملك اشمنعزر الذي اكتُشف سنة ١٨٥٥

ومن الاكتشافات القديمة كنّا نعرف انَّ اشمنعزر (الاوّل) ولد تبنيت وعَمْعَشترت فتزوّج تبنيت اختهُ عمعشترت فولد لهما ابن يدعى اشمنعزر (الثاني) . ثمَّ يؤخذ من الكتابة الحديثة انَّ « بدعشترت هو حفيد اشمنعزر » . فتُرى ايّ اشمنعزر هو المراد ألاوّل او الثاني ؟ . فقد ارتأى المسيو برجه والاب لكرنج بان المراد هو اشمنعزر الثاني . ولكن اذ كان لا يُنكر ان اشمنعزر الثاني مات في الرابعة عشرة من عمرهِ بلا ذريّة قالا ان بدعشترت ليس حفيدًا لاشمنعزر الثاني بل هو ابن عمهِ . اما المسيو كلرمون غانو فانهُ يرتأي بخلاف ذلك ان بدعشترت حفيد اشمنعزر الاوّل وهو يجعلهُ

---

١) المجلّة الاثريّة R A. 1887, II, 109. فترى لطف سعادة حمدي بك الذي نشر خبر اكتشافهِ لاوّل مرّة في مجلّة افرنسية وكذا صنع آخرًا جناب مكريدي بك . وبذلك يظهر جليًّا ما بين علماء دولتنا العليّة والعلماء الفرنسيين من الصلات الحسنة . وزد على ما تقدم انَّهُ برز في العام الماضي كتاب عن « مدفن صيداء الملكي » (La Nécropole royale de Sidon) نشرهُ حمدي بك بجميّة ت . رينان

ابناً لا لتبنيت لكن لاخٍ لهُ مجهول لم يملك فتولى ابنهُ هذا بُدعشترت زمام الملك بعد اشمنعزر الثاني المتوفّى صغيرًا كما ترى في هذا الجدول:

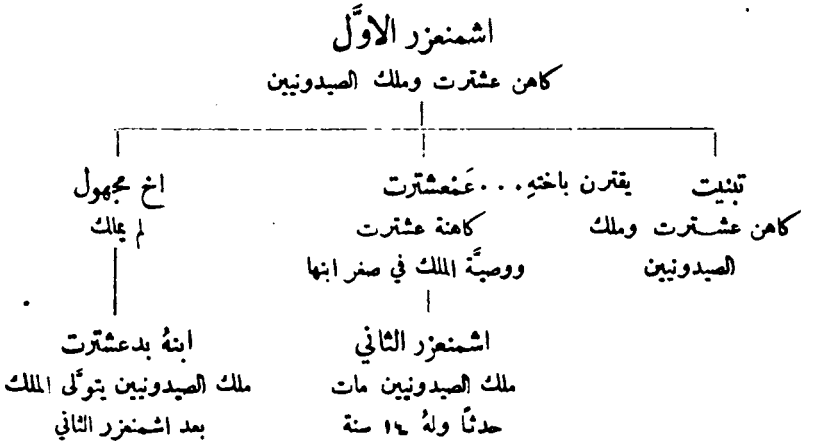

فهذه السلسلة للملوك صيدون تسدُّ خللًا كبيرًا في التاريخ اذ تعرّف تعريفاً اكمل واتم دولة اشمنعزر وسلالتهُ من بعدهِ . امّا زمن هذه الدولة فقد اختلف فيهِ الكتبة وكانوا يظنُّون سابقًا انّهم ملكوا في القرن الحادي عشر قبل المسيح . ثم جاءت الاكتشافات الاثريّة فبيّنت بطلان هذا الزعم حتى قال البعض ان هذه الدولة تولّت زمام الملك على صيدون بعد الاسكندر اعني بين سنة ٣٣٢ و٢٧٥ قبل المسيح (١ ثم اعاد العلماء النظر في هذا الامر . واليوم عاد العلماء فبحثوا بحثًا ادقّ في الامر واستنتجوا انّ اشمنعزر وذريتهُ سبقوا عهد الاسكندر اعني ملكوا في القرن الرابع او الخامس من قبل المسيح (٢

هذه نبذة وجيزة تنبئ القرّاء بما حصل عليهِ علم العاديّات الفينيقيّة من الترقي في العام الماضي . وقد بقي علينا ان نبيّن ما اكتُشف في العام نفسهِ في بلاد الشام من العاديّات اليونانيّة والرومانيّة ننشرهُ في عدد آخر ان شاء الله (لهُ بقيّة)

---

١) هذه نتيجة مقالة للمسيو فيليب برجه عنوانها: « L'archéologie et l'épigraphie » طبعها سنة ١٨٧٧

٢) وهو رأي فيليب برجه في مقالتهِ الحديثة ورأي حضرة الاب لكُرنج في المجلّة الكتابيّة (R B., l. c., p. 521-525)